

المعمارية الهندسية لسورة يوسف مقاربة في أسلوبية الاتساق والوحدة الموضوعية

د.صفية زراني ¹

¹ جامعة لونيبي علي البليدة 02 ، الجزائر

es.zerani@univ-blida2.dz

استلم: 2026-07-16 ، مقبول: 2026-07-17 ، نشر: 2026-07-29

The Structural Architecture of Surah Yusuf An Approach to Stylistic Coherence and Thematic Unity

ABSTRACT: This research paper seeks to explore the architectural aesthetics and textual architecture of Surah Yusuf (peace be upon him), and to elucidate the linguistic and semantic mechanisms that lend it its organic unity and perfect harmony. The study is based on the hypothesis that the surah, as “the best of stories,” presents a unique model of structural composition based on symmetry, gradation, and contrast. The approach is grounded in a stylistic reading that aims to reveal the aesthetics of the overall coherence of the surah’s architectural structure without compromising the specificity and sanctity of the Qur’anic text.

In the first part of the study, we will examine the overall structure of the surah by analyzing its architectural design, which manifests itself through several elements such as the circular structure and narrative symmetry. As for the stylistic aspect, the study investigates tools of verbal and semantic coherence, such as reference and ellipsis, revealing their role as a robust linguistic structure that reinforces the surah’s overall structure.

KEYWORDS: textual coherence, reference, geometric architecture, textual harmony, circular structure, Surah Yusuf

المخلص: تسعى هذه الورقة البحثية إلى استكشاف الجمالية المعمارية والهندسة النصية لسورة يوسف عليه السلام، واستجلاء الآليات اللسانية والدلالية التي تمنحها وحدتها العضوية وانسجامها التام، وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن السورة وبوصفها “أحسن القصص” تقدم نموذجا فذا للبناء الهيكلي القائم على التناظر والتدرج والتقابل، وتتأسس المقاربة على قراءة أسلوبية تروم إلى كشف جماليات الاتساق العام للهندسة المعمارية للسورة دون المساس بخصوصية النص القرآني وقديسيته.

في الشق الأول من البحث سنرصد الهيكل الكلي للسورة من خلال دراسة معماريتها الهندسية التي تتجلى عبر عدة عناصر كالنظام الحلقي و التناظر الهندسي السردى أما في الشق الأسلوبى ، يتقصى البحث أدوات الاتساق اللفظي والدلالي كالإحالة والحذف، كاشفا عن دورها كبنية لسانية متينة تشد الهيكل الكلي للسورة.

الكلمات المفتاحية: الاتساق النصي، الإحالة، المعمارية الهندسية، الانسجام النصي، النظام الحلقي، سورة يوسف.

مقدمة

إن الخطاب القرآني ، كان ولا يزال نصا حيا نابضا ، تتقصده الدراسات اللغوية والبلاغية والنصية، لتنهل منه العجائب ولتكتشف مكنوناته التي لا تنتهي نظما وإعجازا، لما ينطوي عليه من خصائص بيانية وبنائية إعجازية، وقد شهدت الدراسات القرآنية المعاصرة تحولا ملحوظا نحو توظيف المناهج النصية السياقية والنسقية في تحليل سوره وآياته لكريمة، متجاوزة حدود التحليل المجري إلى دراسة أجزائه في إطار كلي متكامل وهو ما أفضى إلى بروز مفهوم الهندسة المعمارية للسورة القرآنية، بوصف هذه الأخيرة بوابة للكشف عن مظاهر الاتساق وآليات الانسجام لنصه، مما يتيح فهما أعمق للأجزاء والعلاقات الداخلية التي تنظم هيكله وتؤسس لوحده العضوية والموضوعية.

وتعد سورة يوسف عليه السلام، من أكثر السور استقطابا للدراسات النصية، لى جانب سورة مريم والكهف والنمل والنور، لما تحتوي عليه من سرد قصصي متسلسل ومتكامل، تتشابه فيه الشخصيات والمواقف ضمن مسار تحولي متدرج يبدأ بغاية وحلم وينتهي بتأويله وتحقيقه، ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتبين أثر البنية الهندسية في ضوء مقارنة تجمع بين أسلوبية الاتساق وسميائية التحول النصي سعيا إلى اكتشاف آليات الترابط التي تشد أجزاء السورة ببعضها والكشف عن ديناميكية التحولات التي تعيشها الشخصيات ضمن مسارها السردى، هذا في سبيل الإجابة عن إشكالية : ما الاستراتيجية الأسلوبية التي تحكم المعمار الهندسي للسورة يوسف وتدير تحولاتها النصية وتساهم في وحدتها العضوية والموضوعية؟.

I. المعمارية الهندسية لسورة يوسف

نقصد بالمعمارية الهندسية في سياق تحليل الخطاب ولغويات النص الحديثة هو ذلك البناء النصي المحكم الذي يجعل النص متماسكا ومتناسقا مما يمنحه بنية هيكلية منظمة ومتوازنة ترتبط أجزائه لتشكّل كيانا جماليا قائما بذاته، وسورة يوسف عليه السلام، سورة تتميز بهندسة ربانية فذ، فهي السورة الوحيدة التي وردت فيها قصة حياة نبي كاملة ، تبدأ برؤيا

وتنتهي بتأويلها، نختبر فيها صبر النبي وفرج الله وحفظه المحيط بمخلوقاته، فهي ليست مجرد سرد تاريخي بل خريطة حياة تعلمنا أن نثق بالتدبير الإلهي وبأدب التعامل مع الابتلاءات النفسية والاجتماعية لقوله النبي يعقوب: "إنما أشكو بثي وحزني إلى الله"، وتنقلها من نبي عاش في القاع ولكن الثقة في ربه نقلته لعرش التمكين "اجعلني على خزائن الأرض إني مهيظ عليه"، كما أنها "تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء النفسي والعقدي والتربوي والحركي أيضا" (قطب، 1951، 1976) وقد تجلت هذه الهندسة الفذة من خلال :

1. النظام الحلقي والبنية الدائرية

إن أبرز ملمح في السورة هو تناظر بدايتها مع نهايتها في حلقة دائرية مغلقة، حيث تبدأ رؤيا النبي يوسف التي قصها على والده النبي يعقوب عليهما السلام: { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) } لتتحقق الرؤيا في آخر السورة بأن سجد له أبواه واخوته "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا. وَهنا تلتقي النقطة البؤرية الأولى للسرد بالنقطة الأخيرة لتكون هندسة معمارية دائرية مكتملة.

كما يتجلى النظام الحلقي في الفقد والفراق الذي مس النبي الأب والنبي الابن جراء المكيدة التي نصّبها له اخوته { إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) } ، ومن ثم اجتماع الأسرة ولقاء النبي يعقوب ابنه النبي يوسف عليهما السلام. ومن هذا المنطلق أيضا تتحدد بنية دائرية أخرى تتمثل في تأمر الاخوة ضده وتوبتهم إلى الله في أخير، كما نجدها في المأمرة الثانية حين اهتمته زوجة العزيز بالسوء وأجمعت عليه النسوة حتى يرون حسنه

ويعذرونها { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُلُهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) } فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حُشِّ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) } قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيُجَنَّنَّ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ (32) } وحتى يتحرر من مكرهم دعا الله

بالسجن، ولما يخرج منه طلب البراءة من ملك مصر { قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) } قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حُشِّ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ

أَمَرْتُ الْعَزِيزَ النَّحْصَ الْحَقُّ أَنَا رُودُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) {، وهنا تظهر الحقيقة وتنغلق الدائرة السيئة بأخرى حسنة نصر الله فيها عبده.

2. هندسة التناظر والتعاقب

تجمع السورة بين العديد من الثنائيات الضدية، والتناظر المستمر بين المحنة والمنحة، والبداية مع كيد الإخوة والقاء يوسف عليه السلام في الجب السحيق {أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَحُلْ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطَهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَلْعِينَ (10)}، وهذه الحادثة تلتقطه سيارة لبيع في سوق العبيد بثمن بخس لعيش في قصر العزيز ويتخذه ولدا، {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)} وهنا يحدث الفارق العجيب من قاع الجب إلى قمة النعيم.

يأتي القاع الثاني أثناء ادخاله السجن ظلما، {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ (35) لِيُقَابِلَهُ هِنْدَسِيَا اِنْتِقَالَهُ لِقَمَةِ التَّمَكِينِ وَالْحَكْمِ {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ} اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)}، وكذلك هي سنن الله في الكون، فالأيام تتغير والتناوب بين العسر واليسر والضيق والاتساع مستمر.

نجد أيضا من النظام الحلقي في السورة، الوقوع في مؤامرة الاخوة ليقابله هندسا المحبة والرافة والكرم من عزيز مصر، والوقوع في مآمرة امرأة العزيز ليقابله بعد سنوات النصر ورد الاعتبار من ملك مصر.

بالنظر إلى الأشياء المادية نذكر القميص الملطخ بدم كذب {وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} الذي يقابله هندسيا قميص الفرح الملقى على وجه أبيه فارتد بصيرا {أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا}، فالتحول الدرامي بدأ بقميص ممزق وانتهى بقميص الشفاء والتوبة، فالاخوة الذين حملوا قميص الخديعة هم أنفسهم من حمل قميص الشفاء والتكشف.

تتجلى حلقة الفراق والقاء، وتحكمها مشاعر الحنين والاشتياق ، والمتمثلة في فراق يعقوب عليه السلام ابنه العزيز يوسف عليه السلام وذلك بسبب غيرة الاخوة ، وهو ما ألم النبي يعقوب وبعد اجتياز امتحان الله له في التعلق، أعاده الله له : وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون (94) قَالُوا تَأَلَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96)

وفي هذا التناوب تبرز سنة التداول التي سنّها الله في الأرض لقوله {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}، وهو يعني انقلاب الأحوال وتغيرها، وهذه السنن تتميز بخاصية الاطراد أي التكرار و التتابع على نهج واحد وطريقة واحدة لا تختلف ولا تتخلف؛ كلما وجدت الأسباب، وتوفرت الشروط، وانتفعت الموانع، ولولا الإطراد لم يصح الاعتبار، (الغلبزوري، 33) وقصة النبي تبين أثر الانسان في التغيير والبناء العمراني، تحقيق الخلافة الإلهية على الأرض، وقد اختبرت جميع الشخصيات في السورة القرآنية المدروسة هذا التداول الكوني، وتغيرت أحوالها من الأفضل للأسوء ثم الأفضل ، فيعقوب فقد ولده وفي الختام عاد إليه، أما اخوة يوسف وزوجة العزيز عصوا الله ومن ثم تابوا وبالمقابل رفع الله نبيه على عرش التمكين.

3. الهندسة التمهيلية الثلاثية

تتحرك المعمارية الهندسية لسورة يوسف في ثلاثة مفاصل أساسية تدير التحولات الكبرى في القصة:

أولا: ثلاثية الفضاء المكاني:

ظهرت في سورة يوسف ثلاثة بيوت أساسية ، أما الأول فهو بيت الأبوة بكنعان وبداية النبوة، وهو بيت المحبة والرعاية الأبوية والمنافسة والغيرة الأخوية وهو فضاء الابتلاء الأول فراق الأب وغدر الأخوة ، و البيت الثاني ، هو بيت عزيز مصر، فضاء الترفع والشباب ومن ثم تحوله لفضاء الفتنة واختبار الأخلاق والالتزام الذاتي، أما الفضاء الثالث، فهو بيت التمكين والحكم حين أصبح أمينا على خزائن مصر وأنقذها من قحط طويل، وهذه الثلاثية المكانية تشملها ثلاثية الرعاية والاعتماد والكرم بدأ برعاية الأبوة ومن ثم رعاية عزيز مصر وأخيرا ملك مصر.

ثانيا ثلاثية الفضاء الزماني:

تقسم قصة النبي يوسف على ثلاثة مراحل: الطفولة، الشباب، الكهولة ومن ثم دعاءه بلقاء الرفيق الأعلى لقوله تعالى {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)}، أما الطفولة فتشمل حياته بين كنعان وبين مصر في بيت العزيز، أما الشباب فتشمل مرحلة العيش في قصر العزيز ومن ثم مرحلة السجن التي برزت شخصيته كنبى تلك الأمة وهذه النبوة برزت مع تعبيره لرؤى السجناء، ثم المرحلة الثالثة وتضم خروجه من السجن إلى لقاء والديه وأخوته وتحقيق رؤياه في الطفولة.

ثلاثية القميص:

وقد برز القميص كعنصر أساسي في القصة، وهو ما يبرر تكراره لأكثر من مرة، فالأول كان قميص الدم الكذب {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} أول الابتلاء وإعلان الفراق الحقيقي بينه وبين والده، والقميص الثاني هو قميص التهمة، حين همت به امرأة العزيز وقدت قميصه من دبر ومن ثم اتهمته في الشرف، {وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} وهو أيضا قميص البراءة {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)} أما القميص الثالث هو قميص الشفاء، حين القي على وجه والده فارتد بصيرا {أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْفُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا}، والقميص يربطنا مباشرة بمرحلة حياة يوسف عليه السلام، فكانه فاصلة زمنية وبظهوره سندشهد تحولاً جذرياً في المعمار الدرامي للقصة.

رابعا ثلاثية الرؤى:

تظهر في السورة القرآنية ثلاث مواضع للرؤى: الأولى رؤيته في منزل والده أما الرؤيا الثانية فتخص صاحبي السجن {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)} أما الرؤية الأخيرة هي رؤيا ملك مصر وقال الملك إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتَبِلَتِ خُضْرٌ وَأُخَرَ يَابِسَتْ يَأْتِيهَا أَلَمًا أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَايَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعُلَمَاءٍ (44) وكل الرؤى ساهموا في بناء مسار تحويلي مستمر في حياة النبي، كما ساهمت في خلق هندسة مذهلة تجمع عالم الغيب وتحققه في الواقع.

4. التناظر الإيقاعي

ونقصد به ذلك التوازن بين المساحة المحدد للحوار وللسرد، فالقصة ليست سردا جافا بل تأتي معماريتها الهندسية متوازنة يتناوب فيها المشاهد السردية والحوارات النصية ونجده السرد في التوصيف العام للقصة، وهو ما لخص السنوات في عدة صفحات مميزة التركيب والإعجاز، أما الحوار فظهر في المواقف المهمة والتحويلات الكبرى.

من خلال ما سبق نجد بأن سورة يوسف عليه السلام تتميز بمعمارية هندسية منظمة وفريدة، ليست بالقصة التاريخية المحضّة بل هي قصة تربوية امتاعية، حيث تجلت وبوضوح بنية الانغلاق الدائري فضلا عن هندسة التناظر و التمفصل الثلاثي، و التوازن الإيقاعي بين السرد والحوار.

II. أسلوبية الاتساق وآليات الشد النصي:

إن المعمارية الهندسية الكلية للسورة لا تنفصل عن جزئيات النص اللفظية، فهذه الهندسة الفذة لم تكن لتتحقق لولا وجود شبكة لسانية دقيقة تدير اتساق الخطاب وتمنحه حيوية وتماسكا، فالتلاحم اللغوي بين البنية الهندسية الكلية الخارجية والروابط اللغوية المجهرية الداخلية هو ما يمنح النص وحدته النسقية، وقد قال محمد مفلح في هذا الصدد "إن النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة، وإن الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة مشتقة منسجمة، ونعني بالنضيد ما يضمن العلاقة بين أجزاء النص والخطاب مثل أدوات العطف وغيرها من الورايط، وبالتنسيق على ما يحتوي أنواع العلائق بين كلمات المعجمية وبالأنسجام ما يكون في علاقة بين عالم النص وعالم الواقع" (مفتاح، 35، 1995)، ومن هذا المنطلق يصبح الاتساق الأسلوبي بمثابة الخرسانة اللسانية الرابطة بين منطوق اللفظ وعمق الدلالة، فبدون شبكة الروابط والإحالات لا يمكن للهيكل الهندسي أن يتماسك.

نقصد بالاتساق الأسلوبي ، " ذلك التماسك الشديد بين أجزاء المشكلة لنص/لخطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"(خطابي، 05، 1991)، وقد أضاف محمد خطابي بأن الاتساق لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب بل يتجاوزه ليشمل المستوى النحوي والمعجمي باعتبار أن اللغة نظام ذو ثلاثة أبعاد: الدلالي والمرتبطة بالمعاني، والنحوي المرتبطة بالمعجم الشكلي والبعد الصوتي/الكتابي المرتبطة بالتعبير، ويتفعل الترابط بين بداية النص ونهايته دون الفصل في مستويات اللغة من خلال وجود مجموعة من العناصر التي تعمل على تحقيق الاتساق في مستوى النص ومنها: الإحالة، الضمائر، الاستدلال، الحذف، الربط، والتساق المعجمي(أبو خرمة 82/83، 2004) ومن آليات الاتساق الأسلوبي المتجلية في سورة يوسف عليه السلام نجد:

1. الإحالة أو المرجعية:

تعد هذه الظاهرة النصية من أبرز الآليات التي تساهم في تماسك النصوص، وهي مصدر الفعل "أحال" ومنه حال الرجل يحول، أي تحول من موضع إلى موضع أي حاله إلى مكان آخر أي تحول (ابن منظور، 491، 2008)، فهي الرجوع إلى كذا، أما اصطلاحاً فهي "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"(عفيفي، 116، 2009)، فالأسماء المحالة تحتاج إلى عنصر آخر محال إليه، فهي لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه لتستوفي تأويلها، وهي تتلخص في الضمائر وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، ويجدر الذكر بأن كل لغة تمتلك خاصية الإحالة (خطابي، 16، 1991) وهي مقسمة إلى:

الإحالة المقامية: التي تحيل إلى خارج النص وتتمثل في إحالة عنصر لغوي إحالي على

عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي(بوجراند، 172، 1998)

الإحالة النصية: التي تحيل إلى داخل النص ولا تخرج عن فضاءه وهي إما تكون قبلية(على

السابق)، أو بعدية (إلى اللاحق) وهي تشير إلى "عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولحق

عليها" (الزناد، 119، 1993) فالإحالة تمنع التكرار الممل محافظة على المعاني في خيط

ممتد يربط الدوال ببعضها، وتجلت هذه الظاهرة في سورة يوسف من خلال:

أ. الإحالة النصية الداخلية

أولا: الإحالة النصية القبلية

● الضمائر التي تحيل على يوسف عليه السلام:

وهي مجموعة من الضمائر المتصلة والمستترة والمنفصلة التي ترجع إلى المحال إليه الممثل

في النبي عليه السلام وهي مجموعة في عدة دوال نذكر منها:

الضمائر المتصلة (الهاء): لأبيه الآية 04، اطرحوه الآية رقم 09، يجعلوه الآية رقم 15،

فأكله الآية رقم 17، ألقوه يلتقطه، أخاه الآية 69.

الضمائر المستترة (تقديره هو): بلغ من اللآية 22، الفعل آوى وقال من الآية 69، يتبوأ

ويشاء من الآية 59.

الضمائر المنفصلة: راودته التي هو في بيتها الآية 23، هو من الكاذبين الآية 26.

● الضمائر التي تحيل على يعقوب عليه السلام

نجد من الضمائر المتصلة لفظة إنه وعلمه من الآية 68، و ابيضت عيناه من الآية 84،

ومن الضمائر المستترة نجد تولى عنهم من الآية 84 ومن الضمائر المنفصلة نجد فهو كظيم من

الآية نفسها،

● الضمائر التي تحيل على إخوة يوسف:

من الضمائر المتصلة نستخرج: {فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (58) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ}

نجد واو الجماعة والضمير المتصل "هم"، ومن الضمائر المنفصلة نجد وهو لا يشعرون من

الآية 15 وهم له منكرون من الآية 58.

من خلال استخراج الإحالة النصية القبلية نلاحظ بأن السورة مكتظة بالضمائر وأسماء

الوصل التي ساهمت في ربط أجزاء النص، والشاهد أننا استخرجنا جزء ضئيل من الضمائر،

فهناك من تعود على امرأة العزيز وبعضها على الجماد كالقريه والكواكب والعر ولكي لا نطيل
المقال أكثر أختارنا ثلاثة شخصيات رئيسة في السورة.

ثانيا: الإحالة النصية البعدية:

تعمل الإحالة البعدية على تنبيه المتلقي من أول الآية لقوله تعالى : تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ
01، أما الإحالات البعدية التي تحيل على النبي يوسف نجد اسم الإشارة هذا من الآية 19 : هذا
غلام ، ومن الآية { وَقُلْنَ حُشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) } ، كما أشار النبي إلى أخيه بقوله
هذا أخي من الآية 90، كما تجلت إحالات أخرى تعود على الجماد { هَذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا
وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65) } ، نلاحظ بأن هذه الإحالات البعدية تربط اللفظة
بسابقتها فلا يتم معناها إلا بما تحيل عليه، كما أنها تحفز انتباه القارئ وتحقق الاتساق العام
للقصة.

ب. الإحالة الخارجية المقامية

تأتي لتحيل على عنصر ينتمي للمقام الخارجي للنص، وقد تواجدت هذه الإحالة عبر عدة
أوجه نذكر منها:

الإحالة التي تحيل على الله عز وجل: فنجد منها الضمائر المتصلة قوله إنا نحن ، وأنزلناه
من الآية 02، و أوحينا من الآية 03، كما نجد الضمائر المستترة التي تقدر على اسم الجلالة،
في قوله: اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) وقوله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) وقوله إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53).

الإحالة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: وذلك من خلال قوله تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو
إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108) ففي الآية الكريمة فعل الأمر "قل"
الذي يحوي إحالة لضمير مستتر تقديره أنت، و نجد أيضا الضمير المنفصل أنا، ومنها كذلك
يبرز الكاف في "عليك وإليك" من الآية 03، و"التاء" من الفعل كنت من لآية نفسها.

الإحالة على المتقين: وذلك بذكر صفاتهم كالصادقين والمحسنين لقوله تعالى: وَهُوَ مِنَ
الصَّادِقِينَ (27) وقوله وَلَا تُضِيعْ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)، والمتصدقين من الآية 88 والصالحين من الآية
101.

ذكرت في السورة العديد من أصناف الإحالات الخارجية، كالأماكن التي وقعت فيها الأحداث مثل: البئر، مصر، القرية وغيرها، وأيضا أسماء الفلك كالسماوات، الكواكب والقمر، فهذا التنوع المتنغم في الإحالات الخارجية خلق بعدا متخيلا آخر ينقل القارئ من حالة القراءة السطحية إلى التعمق الفكري، كما أن هذه الإحالات ساهمت في ربط السورة بغيرها من السور من خلال الرجوع إلى قصص مماثلة في آيات أخرى.

2. الحذف

يمثل الحذف أداة أسلوبية مهمة في تحقيق الاتساق النصي داخل سورة يوسف، إذ يقوم على إسقاط بعض الملفوظات اللسانية لتجنب التكرار والاسهاب فيتترك فراغات نصية لا تؤدي إلى تفكيك الخطاب ولكنها تحرك ذهنية المتلقي، وقد حاول روبرت دي بوجراند تقديم مفهوم اصطلاحي له بأنه: "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع وأن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي" (بوجراند، 340، 1998) وقد وجد في سورة يوسف مما منح سرعة سردية تتناسب مع معمارية السورة و أحال على الشخصوس دون تكرار أسمائهم، وقد تجلّى من خلال قوله تعالى: أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ (12) وفي الآية حذف لإسم يوسف، والآية التي قبله دليل سابق عليه، وقوله سبحانه وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتُونِي بِهِ ^{مُحَلِّمًا} فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) وهنا نجد حذف اسم يوسف عليه السلام لتجنب التكرار، فالأحداث تدور حوله، وحذف الأسماء النسوة وعلى رأسهم امرأة العزيز، التي بدأت الفتنة، فلم يذكرها منفردة إنما شملها مع مجموع، كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، والمحذوف هو أسماء الرسل، وقد دل عليه سابقة "حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ". وتتجلى جمالية حذف الاسم وتأطيرها في دورها الاجتماعي (أخ، امرأته، الملك) لتخرج من قالبها المخصص لسيدنا يوسف عليه السلام ولتكون نماذج انسانية متكررة في كل زمان وأي مكان.

إلى جانب حذف الاسم نجد حذف الجمل في قوله تعالى: وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يُيُثْرِئُ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19)، فالتقدير المحذوف بأن هذه السيارة مرت على الجب، بعدما ألم بها العطش، فأرسلوا واردهم، وعندما ألقا الدلو فوجئ النبي يوسف وفرح فتشبث بالدلو، غير أن الوارد تحسس لثقل الدلو، وبقي يرفعه مستفهما ومستغربا إلى أن رأى يوسف الصبي البهي الطلة الخائف المستبشر بالفرج، فصرخ في دهشة يا بشراي هذا غلام، والحذف لخص كثيرا من التفاصيل وجعلها متخيلة في ذهن القارئ. وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69) وفي الآية حذف آخر للآحداث، حين تعرف الأخوان على بعضهما ووصف المشاعر التي غمرتهما بعد فراق طويل غير ملامحهما، والتقدير السردى يكون بأن دخل الاخوة على أخيه يوسف فلم يتعرفوا عليه، وقد لاقوا تقديرا واحتراما وترحيبا خاصا بهم بصفتهم ضيوف قدموا إلى مصر من كنعان، وقد جلس يوسف عليه السلام بجانب أخيه بنيامين وهمس له أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون، اتسعت عينا أخيه دهشة وبهجة غير مصدق بأن يوسف الذي أكله الذيب أمامه فبعدهما بكاه وافتقده سنوات أعاده الله إليه في هيئة عزيز مصر.

فالأيات المحكمات وردت مباشرة محذوفة التفاصيل، وهي مباشرة مكثفة المشاعر، متعددة الأوجه، فكل قارئ رأى وفق مخياله ردة فعل بنيامين من لقاء الأخ النبي يوسف عليه السلام.

خاتمة

تظل سورة يوسف مدرسة متكاملة، تثبت للمتلقي عبر تحولاتها النصية والسردية أن العاقبة دائما للفقير والصبر، وأن تدبير الله للإنسان خير من تدبير الإنسان لنفسه. السورة نزلت سلسلة وبسيطة المصطلحات، سهلة الفهم والحفظ، تتركب أحداثها بيسر في متخيل القارئ، ككتلة فنية متكاملة تلتقي فيها البدايات بالنهايات عبر شبكة من آليات الاتساق الأسلوبى التي ساهمت في تماسك النص وضبط إيقاعه السردى وربط علاقاته الداخلية، والدراسة جعلتنا ندرك حقيقة معنى الحديث النبوي عن القرآن الكريم: "لا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ".

المراجع

- ابن منظور، لسان العرب،،دط، لبنان، مج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
- أحمد عفيفي، إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ط1، القاهرة-مصر، مكتبة زهراء الشرق، 2001.
- الأزهر الزناد، نسيج النص:بحث فيما يكون الملفوظ نصا ، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1993.
- توفيق بن أحمد الغلبزوري، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، كلية أصول الدين، جامعة القرويين، المملكة المغربية السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم
<https://quranpedia.net/book/21895?attachment=79794>
- روبرت دي بوجراند ،النص والخطاب والإجراء، ط1، مصر، تر:تمتم حسان، عالم الكتب، 1998.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، دار لشروق، 1976.
- عمر أبو خرمة، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى، ط1، الأردن عالم الكتب الحديث، 2004.
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1 المغرب، المركز الثقافي العربي، 1991.
- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1996.

سيرة المؤلفة

صفية زراني، دكتورة متخرجة من جامعة لونييسي علي البليدة 02

أستاذة مؤقتة منذ سنة 2019

ترأست نادي الموهبة والإبداع التابع لقسم اللغة العربية وأدائها لمدة سنين متتالية 2019/2020 و 2020/2021

لها منشوران علميان في مجلتين محكمتين من صنف ج : المدونة ومجلة الخطاب

كما أنها قد أصدرت مؤخرا كتاب أكاديمي نقدي موسوم ب: لعبة المرايا السردية : تقنية الميتاسرد في الرواية العربية

المعاصرة

متحصلة على شهادة لغة انجليزية مستوى: B2.2 ولغة فرنسية مستوى B2,3